عنوان مداخلة : " **تجدد اللغة العربية أملا ببناء مجتمع جديد**"

أ.د / أحمد طالب

يجب أولا وقبل كل شيء البحث عن جملة من الأسئلة حول اللغة العربيّة في تاريخها ومسيرتها وحياتها الراهنة ومستقبلها، في ظلّ ظروف سيطرة اللغات القوية على اللغات الضعيفة وهضم حقوقها. وهذا يعود إلى واقع الأمّة ولغتها، من خلال طرح سؤال هام حول "دور اللغة في بناء المجتمع".

ولعل العكس صحيح أي "دور المجتمع في بناء اللغة" فالقضية كلها تَّسند إلى اللغة ودورها، في بناء المجتمع العربي وتطوره في الوقت الحاضر.

وإن كانت الظروف الدقيقة، التي تمر بها هذه المرحلة، فإن هذه اللغة أي لغة "الضاد" تتميز بقدرتها الكامنة فيها وقدسيتها والمزايا، التي تجعلها قادرة على اجتياز الظروف الحالكة والمراحل الصعاب. إذ أن اللغة العربية والأمة العربية

نسيج واحد ذهنيّا ونفسيّا ماديّة ومعنويا.

فإذا بيّنا الدور التاريخي الذي قدمته اللغة العربيّة في بناء المجتمع، نجده يستعين على ذلك بشتى العلوم من بينها علم النفس وعلمائه وعلم الاجتماع ومنظريه وعلم اللغة وأبرز روّاده....

فلابد إذن من الاعتماد على اللغة العربيّة وإمكاناتها في دفع الأبناء إلى تنفيذ سلطتها التي اكتسبتها عبر القرون. ذلك أن اللغة العربية لا تزال العنصر الأكثر أهميّة فباستطاعتها القيام بالمهمّة إذا ما تمّ الالتفات إلى حقيقتها عبر اكتشاف أسرارها بجدية.

الدور التاريخي للغة العربية في بناء المجتمع. إذ لا تزال اللغة هي الأساس في إعطاء الصفة الاجتماعية للمتحدثين بها، والشيء الذي يقتضي القيام به اليوم حول دور اللغة العربية، هو الاعتناء بها من خلال تلاحم أبنائها.

إذ ما يشغلنا في هذه اللحظة هو إبراز إمكانية اللغة وسيطرتها على زمام القول، وانبثاق دورها الدائم في الفعل. ذلك الفعل الذي يتخطّى أحياناً، أطر الزمان والمكان، من دون أن يتجاوزهما.. إنّ القوة الفاعلة للغة العربيّة، تكوّنها هذه المكانة الرفيعة، ليس في نفوس أبنائها الذين صنعوها عبر تاريخهم الاجتماعي،

والسياسي والثقافي، *والاقتصادي فحسب، بل في نفوس غيرهم من الشعوب، لأنّ البحث العلميّ الدقيق يظهر قدرة هذه اللغة الفائقة، وتأثيرها في مجتمعات كثيرة.*

ولقد زاد من قيم اللغة العربيّة في الذهن والنفس، إقبال الناس عليها لارتباطها بالقيمة الاجتماعية والإنسانية للإنسان. ولعل هذه العلاقة هي العلاقة الوثيقة بالقرآن الكريم والحديث النبويّ الشريف.

لقد عُرفت البيئة العربية بظاهرة الانتفاع باللغة، وعلى الأخص في شكل الخطابة، وهي اللفظة المشتقة من "خَطْب" في مجال العلاقات الاجتماعية. ولهذا لقد طلب العرب من اللغة أكثر مما يطلب في بيئات أخرى..

اللغة تبقى والناس يتغيرون. وتبقى اللغة العربية محافظة على جوهرها وإن تغيرت قليلا، ولعل ما يبقيها قدرتها على الاستمرارية، لأنّها، كما يرى الجاحظ، تحمل أمرين أساسيين: أحدهما البراعة العقلية وثانيهما: القوّة الروحية المهيبة" وهي ذات " عبقريتها الخاصة"، فإن "علوّ اللغة من باب علوّ الهمّة والكبرياء. وأنّ الفرد يزهو كثيراً إذا تكلّم أو أبان، وكان الكلام دائماً سبباً من أسباب رفعة الأشخاص والجماعات. وأنّ العلّة موجودة في الناس وليس في اللغة. وأنّ الأعرابي يحب الكلمة وهي خير عنده من الدنيا، وأنّ التذكر والحنين إلى لغة الماضي، مدعم للثقافة، وأنّ "الافتتان بالكلمة موقف".

وفي اعتقادنا أنّ اللغة العربية هي واحدة من المكونات الاجتماعية التي اختزنت الروابط الأساسية من التفكير اللغوي العربي. وظلّ تراكم هذا التفكير عهوداً طويلة يتكوّن في اللاوعي الجمعي العربي.

ولعلّ ما قدمه الأستاذ عبد الكريم خليفة، في موضوع نشأة اللغة العربيّة، يصلح لأن يكون دليلاً عن أهميّة العربيّة وقدمها وقوّتها التي بقيت منذ زمن بعيد إلى يومنا هذا، لغة قادرة على نقل المجتمع إلى آفاق أفضل، لغة لا تموت، بل تتجدّد وتمنح الحياة أملاً ببناء مستقبل جديد.

إنّ الخصوصية التي تميّزت بها اللغة العربية تدفعنا إلى القول بالتقارب الشديد بين شخصية العربيّة وأبنائها، لأنّه إذا كانت "اللغة المشتركة مسؤولة إلى حدّ ما عن الوحدة العرقية، وأنّ الوحدة العرقية تكفي دائماً لتفسير اللغة المشتركة" كما يقرّر دي سوسير Du Saussure، فإنّ بعض الباحثين يرى أنّ: "الألفاظ العربية كالعرب أنفسهم، تتجمّع في قبائل وأسر معروفة الأنساب، وتحمل هذه الألفاظ دوماً دليل معناها وأصلها وميسم نسبها".

فالقدرة على التعبير عن التواصل والاتصال والخلق هي في حد ذاتها قوّة المجتمع وقدرته على التواصل والتطوّر والبقاء الدائم.

في ضوء هذه التصورات فإن ثنائية : اللغة – الأمة، وجود كلّ منهما مرتبط بالآخر.. وإذا كانت الأمم تهتم اهتماما كبيرا بلغاتها، فإنّه ستصبح هذه اللغات قادرة على المواصلة، وأن تكون حاضرة في حياة أصحابها، تقدّم لهم من مخزونها ما هم بحاجة إليه، في كل زمان وفي كل مكان.
فقد تتميز اللغة العربية بقدرتها الذاتية على التعبير، وعلى التمثّل والتوليد وعلى الانتقاء والارتقاء، في بيئتها نفسها، وبين شقيقاتها اللهجات الفصحى التي تبادلت معها التأثير والـتأثّر.

فسرّ اللغة العربية هو كون ألفاظها تحمل دلالات عديدة، لها القدرة الفائقة على الاشتقاق والتوليد،

هذا من جهة، ومن جهة أخرى تقوم بين هذه الألفاظ معان مجازية، وهي روابط فلسفية، أو نفسيه داخلية، ومن الإعراب وسيلة لإجراء التحوّل في الأداء المعنوي للفظة داخل الدائرة النحوية، "فدلالة التركيب تقام على مجموعة القرائن التي تنتظم داخل سياق مرن يستوعب التحوّلات ويعيّن ما يترتب عليها من تغيير على مستوى الدلالة الكلّية".

وأنّ لفظة "لغة" العربيّة هي أول ما أطلق من أسماء على الكلام، فهي: "لوجو" أو "أولوغو" Logo (الكلمة)، وهي من الفعل العربي القديم (السرياني والفينيقي): "لجا = لغا، لهج، نطق، تكلم. ". كما ارتبط البناء بالقول الإلهي: "اِقرأ"، الكلمة الأولى التي أطلقت فعل البدء ببناء كون جديد ونهائي، في حسبان الإسلام آخر الديانات السماويّة، وأنّ النبيّ محمداً (ص) آخر الأنبياء الذين سلّم إليهم أمر بناء الكون.. والباحث أحمد داود، في تاريخ الحضارات، يذكر في كتابه "تاريخ سوريا الحضاري"، أنّ التدفق البشري الذي استوطن بلاد ما بين النهرين ، كلّه من أصل عربيّ.. وقد أكّد ذلك بالمزيد من الأدلّة والبراهين ، مستمدة من مراجع ومصادر عربيّة وأجنبية.
والجدير بالذكر أنّ داود يعيد إلى الأذهان صورة العربيّة في تجلّيها التاريخي القديم، وتظهر مدى قوّتها وتفاعلها في مختلفة جهات العالم وهو الأمر الذي هيأه الله لهذه اللغة لتكون رائدة. إلاّ أنّ أبناء هذه اللغة تكاسلوا إذ لم يلموا بتفاصيل التاريخ العربي، ولم يهتموا بحياة اللغة، ولم يقفوا على منطلقات العلوم في ميادينها المختلفة، وهو ما يدلّ على غنى العربيّة وعجز أبنائها.
أسس العرب دولة واسعة مترامية الأطراف برعوا في فنون الهندسة والبناء في مختلف أشكاله، وابتكروا طرقاً جديدة في تشييد المدن، فكانت مدينة البتراء التي لا تزال بعض آثارها إلى اليوم في الأردن آية في الروعة والجمال والتنظيم المدني، كما نجد ذلك في الأندلس قصر الحمراء والجامع الأموي في قرطبة

وقصر تاج محل في الهند آية في الجمال الأخاذ. كما تفننوا في فن الخط والكتابة، وقد عرف خطّهم بالنبطي، نسبة إليهم، تأثّرت به أنواع الخطوط فيما بعد، لاسيّما الخطّ المعروف بالكوفي الذي كتب به القرآن الكريم.

كان هناك تقليد اجتماعي يقضي بأن يتقدّم كل من يرث السلطة بقوانين جديدة للعدالة، تكون له كبيان لحفظ حقوق أبناء المجتمع، ولهذا نجد التنافس في تحقيق العدالة الاجتماعية، العامل الأهم في نضج شخصية الفرد، وتوازن حريته مع حرية الآخرين، سواء أكانوا رجالاً أم نساء، فهم ذوات ولا تمييز بين إنسان وآخر .

لقد أصبحت "اللغة في نموّ دائم بالمفردات والقواعد الصالحة للتعميم واستعمال الشعوب الأخرى غير السامية لها.".

إنّ الباحث في السلالات العربيّة، يجد الكثير من المعارف التي وضعت في الأساس لبناء المجتمعات. فهناك قرون متعاقبة قبل الإسلام، نجد تطوّرا مع كل مرحلة، كما أن هناك تنوّع يظهر حيويّة اللغة العربيّة ويكشف عن أسرارها المختزنة التي انتقلت مع أصحابها من بلاد العرب إلى البلاد الأخرى، إبان الفتوحات الإسلامية.

فهي لغة القرآن الكريم، اللغة المقدّسة التي بهرت العرب فدخلت في شغاف القلوب والوجدان والعقول والضمائر والنفوس، فرسمت كلّ خطوة يخطوها الإنسان. في جميع أنحاء العالم . فالدلائل عميقة على سرّ قوّة اللغة العربيّة، لأنّها لم تعد حروفاً وكلمات فحسب، إذ أصبحت شخصيّة وذاتيّة في بنية الإنسان الذهنيّة والنفسيّة والمادّيّة. وتاريخها الطويل من إنجازات البشرية كلّها.

فبظهور الإسلام تغذت اللغة العربية بدفق كبير من المعارف والألفاظ، الوسيلة الفعالة التي يتسلّح بها الإنسان، فهي لغة مقدّسة؟ وهي قادرة على تجديد حياتنا وإعادة بنائها. وهنالك اعتقاد راسخ بأنّ "هذه اللغة تمتاز عن كافة اللغات بارتباطها بالمصدرين العظيمين الخالدين (القرآن والحديث)".

هذا كلّه يفضي إلى القول: بأنّ اللغة العربية هي لغة العلم والفلسفة والأدب والتأريخ والجغرافيا والرياضيات والفيزياء، وبالتالي فهي اللغة التي تحمل في رحمها القدرة على التطوير والمواصلة . وهو الأمر الذي يثبت "أن العرب في مجال البحث العلمي والتعبير العلمي، وفي مقدّمته ما يتعلّق بالطب، والعلوم ضارب في القدم ".

والعربية هي التي أسهمت في تكوين مجتمعات عديدة مثل المجتمع الأسباني فقد أتقن الشبان الأسبان تأليف الشعر باللغة العربية. كما تعلم الأسبان من المسلمين حسن المعاشرة التي طبقوها في أمريكا اللاتينية مع الهنود الحمر الذين تزوجوا بهم وكونوا الدول أمركا اللتينية.

فقد انتقلت "اللغة العربيّة إلى هذه المجتمعات كلغة بانية لحياة ومؤسسة لثقافة وأنماط تفكير في النواحي الكثيرة، وتكفي الإشارة إلى ما أحدثته هذه اللغة ومتعلقاتها العلميّة والفلسفيّة والثقافيّة والحضاريّة والدينيّة والتراثيّة في مجتمع أسبانيا على أثر افتتاحها وإقامة العرب في الأندلس ما يزيد عن تسعة قرون."

وقد كان وازع اللغة عند روّاد النهضة، "يكشف عن دورها في تحوّل المجتمعات. وهي اللغة التي تعتنق الجديد وتعبّر عن خطوات المستقبل، ومن دونها يبقى المجتمع أبكم ومهملاً، مرميّاً على أرصفة الزمن". بدل الانحطاط أو التأخر أو التخلّف أو كما يصفها شكيب أرسلان بالجمود.

فقد أدرك الأوائل دور اللغة العربية في بناء مجتمع جديد، فحاولوا الخروج من التقاليد القديمة، كالاكتفاء بصناعة القواميس إلى التوجه إلى حقائق في ضوء التطوّرات العالميّة الجديدة. فالتعريب، ليس فقط تعريب المصطلحات بل محاولة تعريب الحياة العصرية وتقديمها كنماذج حديثة. فعبد الكريم خليفة ، يدرك أهميّة هذه المسألة إلى جعل اللغة معبّرة عن تطلعات الحياة العصرية. فهو يقول: "ونحن في أحاديثنا عن التعريب نقصد معناه الشائع، الذي اكتسبه في العصر الحديث، من حيث جعل اللغة العربية لغة الثقافة والعلم والتقنيات الحديثة." شأن الحضارات البشريّة بمجملها أن يأخذ بعضها عن بعض ويكمل بعضها بعضاً

إنّ غياب الجدّية في المؤسسات العربية الموحدة (جامعة الدول العربية)، والاستهتار بأمر اللغة العربية، وفرض اللغة الأجنبية في برامج التعليم ومناهجها على المستويات كلّها، جعل الكثيرين يجنحون باتجاه هذه اللغات، فيتقنوها أيّما إتقان على حساب لغتهم القوميّة. بالإضافة إلى مؤامرات المستعمر الأجنبي المتلاحقة على الأمّة العربيّة، الأمر الذي أدّى إلى عدم الاستقرار في الوطن العربي.

وهناك كثير من الأسباب التي أدّت إلى عدم الاعتناء باللغة العربية وتحديثها و استثمارها استثماراً صحيحاً، وهو ما يجعلنا اليوم نسعى إلى تدعيم اللغة العربيّة وإعادة المجتمع إليها. فعبد الكريم خليفة يتساءل " أين تقع لغتنا العربية الفصحى – ولا لغة لنا غيرها – وأين يقع علماؤنا في هذا الموكب الإنسانيّ للحضارة الحديثة!!! وأجدني غير راغب في الإجابة عن هذا التساؤل، وعلى كل فإنّ هذه الرغبة أو عدمها لا تغيّر في الأمر شيئاً".

وعندما نتحدث عن اللغة العربية ودورها في بناء المجتمع العربي الحديث والمعاصر فعن أي مجتمع، نتحدث فهذا المجتمع العربي صار مجموعة فُتات أراده المستعمر أن يكون كذلك. فلابد إذن من توحيد كلمة العرب حتى يعود للعربية بهاءها وجلالها فتظهر في صورتها الحقيقية.

فما هي أسباب تراجع اللغة العربية الحقيقية ؟ أو ما هي أسباب تراجع المجتمع العربي، ؟

فأغلب المسلسلات والشرائط التي تهمل اللغة العربية الفصحى و تجري وراء تلفيقات تشويقية بدل من التركيز على جمع شمل المجتمع العربي، ولهذا نجد أوضاع اللغة العربيّة اليوم، يشوبها كثير من القلق لأن مختلفة الأوضاع لا تزال ماثلة أمامها، ولا يزال فعل الإهمال واللامبالاة مستمراً..

أما عن النظام الجديد في الجامعات المعروف بـL.M.D (الماجستر والدكتوراه)، "فقد تبدّى تحقيقه مقصّراً في جوانب كثيرة منه.. فليس عندنا قاعدة مادّية تستوعبه: لا أبنية ولا مستلزمات ولا أخصّائيين، وما كان يتعلمه طالب اللغة العربيّة وآدابها في سنة كاملة عليه أن يتعلّمه في ثلاثة أشهر تختزل في أحسن الأحوال إلى شهر ونصف نظراً للعطل الجامعيّة والامتحانات المقرّرة خلاله وتأخير الابتداء بالفصل والاستعداد لامتحاناته النهائيّة."فالسرّ يبقى كامناً في اللغة، في سرّ قوتها وقدرتها على العودة إلى الحياة والتجدّد ومواكبة ثورات التغيير نحو الأفضل.

وأعتقد أنّ المجتمع العربي بحاجة إلى إعادة تكوين. ولقد أصاب ابن حزم في استنتاجه حول تراجع اللغة في حال تدهور المجتمع ودخوله في الفوضى. فقال: "إنّ اللغة يسقط أكثرها ويبطل، بسقوط دور أهلها، ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم، أو بنقلهم من ديارهم واختلاطهم بغيرهم. فإنّما يفيد لغة الأمة وعلومها وأخبارها قوّة دولتها ونشاط أهلها وفراغهم. وأما من تلفت دولتهم، وغلب عليهم عدوّهم، واشتغلوا بالخوف والحاجة والذلّ وخدمة أعدائهم، فمضمون منهم موت الخواطر، وربما كان ذلك سبباً لذهاب لغتهم، ونسيان أنسابهم وأخبارهم وبيود علومهم".

ولا الشك، في أن دور اللغة هو بناء الأمّة وتطويرها. وأيضا جمع العرب وإعادتهم إلى ذاكرة الزمان والمكان، والتوحد والتحضّر والحضور والاستفادة من طاقاتهم وثرواتهم وعلومهم وقوّة لغتهم.. أنّ اللغة العربيّة قادرة على توحيد العرب ولمّ شملهم "واستعادة هويتهم من خلال استعادة اللغة العربيّة، لا لأنّها لغتهم القوميّة فقط، ولكن لأنّها لغة القرآن الكريم وتراثه الإسلاميّ الذي يمتد عبر القرون. إنّ هذه اللغة الفصيحة التي حفظها النصّ القرآني لتشكّل بحقّ جوهر وحدة هذه الأمّة".

ومن الواضح أن العربيّ يوقن بانتصاره ولو بعد حين، وهذا اليقين يورثه أبناءه جيلاً بعد جيل، ويعتقد أنّ ما يمرّ به أمر عارض ويزول، فهذا الأمل يحظى بالإقامة الدائمة في نفس العربيّ ، ولعل ما يعتقده أنّ الضعف الذي حلّ به اليوم هو طارئ لا أصل، وأنّ الأصل هو أن يكون قويّاً عزيزاً وسيداً في الأرض".

وكما يقول شريف الشوباشي "إنّ مشكلة اللغة العربيّة لا تكمن في الناطقين بها بقدر ما تكمن في اللغة نفسها، لأنّها لم تطلها سنّة التطوير.. إنّ اللغة العربيّة اليوم أصبحت قيداً يكبّل العقل البشريّ ويغلّ طاقاتنا الخلّاقة، فهي تسهم، وللأسف، في حرماننا من الانطلاق إلى الآفاق الرحبة التي يفتحها العالم الحديث بكل الوسائل المواكبة للتطور العلمي الحضاري".

قال أحد أساقفة قرطبة إلى بعضهم شاكياً ما معناه" إنّ اللغة العربيّة قد فتنتنا بعذوبة ألفاظها، وبلاغة إنشائها، حتى لا تكاد تجد فينا من يقرأ الكتب المقدّسة باللغة اللاتينيّة، وشبابنا الأذكياء جميعاً لا يعرفون غير لغة العرب وآدابهم. وكلّما قرأوا كتاباً من كتب اللاتينيّة سخروا منه، وقالوا إنّ الفائدة منه لا تساوي التعب في قراءته، وهكذا نسي المسيحيون (يقصد الأسبان) لغتهم وجهلوا كتابها وبلاغتها، وحذقوا اللسان العربي حتى ليكتبونه نثراً ونظماً، بأسلوب أنيق يفوقون فيه العرب أحياناً".

فمزايا اللغة العربية وقدرتها المتميزة على استمالة الناس عند اقترابهم منها، تظهر أنّها لغة تحمل في رحمها منطلقات يجهلها من يبقى بعيداً عنها. ووكما يقول دي سوسير: إنّ "بين الوحدة الاجتماعيّة واللغة علاقة متبادلة.. وتخلق العلاقة الاجتماعيّة الوحدة اللغويّة، وربما تفرض على اللغة المشتركة بعض الصفات الخاصة".

وكما يقال أيضا "إنّ اللغة ترتقي بارتقاء أهلها وتنحط بانحطاطهم"،

فالآلاف من اللغات التي انقرضت لأنّها لم تقوَ على مواجهة عوامل الزمن، التي تعرّضت لها شعوبها.. بينما اللغة العربيّة بقيت سالمة على الرغم من الاستعمار الذي حل بالناطقين بها زمنا ليس بالقصبر، وذلك أنّ اللغة العربيّة تختزن طاقات اكتسبتها منذ زمن بعيد. ولذلك بقيت حيّة على الرغم مما أصاب العرب من ويلات الاستعمار،إذ لديها السرّ في إعادة التدفق من جديد.

وقد نجد أن اللغة العربية، هي اللغة التي" لا تزال العنصر الباقي الكامن في العقل والنفس والوجدان، بما تخزنه من تجارب وما تدخره من علم وما تطوّعه من أجل حياة جديدة لها ولأبنائها."

وقد نجد أن الهوية اللغويّة، هي التي مكّنت الشعوب العربيّة من صنع ثقافتها خارج النطاق الرسمي، فأسهمت في إيجاد النسيج الاجتماعي، شعبيته، حيث كانت اللغة في القلب والأساس فيها. وهي التي أسهمت

في إيجاد المقاومات المختلفة ابتداء من القرن التاسع عشر وحتى يومنا هذا، مقاومات هي من صنيع الشعب الذي قاوم المستعمر بيد وحمل لغته باليد الأخرى. واللغة العربية أصبحت دافعاً قويّاً للاهتمام بها فعُقدت المؤتمرات والملتقيات والندوات.. واشتدّت المطالبة بحمايتها وتطويرها والدفاع عنها.

وهي مستمرّة في دورها على الرغم من المعوّقات الكثيرة.

هكذا كان من قبل الأمر في الجزائر، إذ تمكن المجتمع الجزائري من التشبّث بالإسلام وباللغة العربيّة، كأحد مقوّمات الشخصيّة الوطنيّة والقوميّة تجاه الغزو الثقافي الفرنسي، خلال عهد الاحتلال وعمليات الاستئصال لهذه المقوّمات. فمن الضروري حاليا الاعتراف بموقع اللغة ودورها في ظروف مع ما يعيشه العالم العربي الراهن من تفرّق وعداوات. قد لا يؤثّر هذا كثيراً في طبيعة اللغة العربيّة، بقدر ما يقعدها عن التطوّر.

فاللغة، هي الركيزة الأساسية في بناء المجتمع، وليس هناك لغة خارج المجتمع، ولا مجتمع بغير لغته. وعند العرب هي الركيزة الأكثر أهميّة في وجودهم. فبالإضافة إلى تبادل التواجد بين اللغة والمجتمع، ثمّة خصوصيّة للغة العربيّة اكتسبتها بالإضافة إلى أنّها وعاء الإبداع الأدبي والفني.

لم تنجح العولمة في إيجاد الديانة الواحدة واللغة الواحدة والحضارة الواحدة وبالتالي القوميّة العالميّة الواحدة والهويّة الثقافيّة العالمية الواحدة.. الأمر الذي يدفع القوميّات الأخرى في العالم، ومنها الأمّة العربيّة، أن تراجع حساباتها لأنّها لا تزال محتفظة بقوميتها ولغتها وخصوصيتها وقيمها وعاداتها وتقاليدها..

إن جماليات اللغة العربية لا يضاهيها أي جمال، ونشأتها متأصّلة في النفس وتلازم الشكل والمعنى ، وهي موازية للإنسان العربي ومجتمعه، فقدانها يعني فقدان الشخصية العربية. تأمل لو شئت تمعّن في الكلمات التي تشكّل أساس لغات هذه الشعوب، فإنّك لتجد جذورها في العربيّة. لكنّها، اصطبغت بالمحلّية، وتأثّرت بالمؤثّرات الخاصة لكل بيئة.

بالإضافة إلى أن اللغة العربية تحمل في طياتها تلك الصفة الدائمة للتطور والتكيّف لما فيها من قواعد وأصول تجعلها تتجدّد حيناً بعد حين: كالاشتقاق والإبدال والقلب وتوليد المعاني. فكما كان العامل الديني عضداً قويا لهذه اللغة، فإنّ الناطقين بها يؤدّون دوراً جليلاً في عملية البناء وفي إتقانهم اللغة، كشرط أساسي للتعبير عن عوامل النهوض الأخرى في المجتمع.

وبخاصة إذا كانت اللغة عاملاً رئيساً في تشكيل العقول والنفوس، فهي إذن " لا تزال الركيزة الأساسية في اتحاد المجتمع العربي وبنائه ". وما علينا إلا "أن نتجاوز مرحلة المناداة بالمبادئ والحوار والمناقشة حول قدرة اللغة العربيّة وأهليتها وتجاربها التاريخيّة إلى مرحلة التطبيق".

ولعل الشرط الرئيس يكمن في مسألة الوعي، الوعي بالواقع ومتطلبات النهوض باللغة، هذه اللغة التي" تحتضن مكوّنات الوعي، حيث يصبح اللجوء إلى هذه الأخيرة من المسلّمات، ويصبح على كل مواطن أن حفر في لاوعيه اللغوي المنسيّ ويضعه في الواجهة ليستطيع به مواجهة الواقع.

فوعي الهويّة والوجود من المسلّمات الرئيسة بالنسبة للعرب، وخارج هذا الفهم، تصعب مهمّة اللغة العربية، لأنّه كما يقول الألماني "فيخته" : "أينما توجد لغة مستقلّة توجد أمّة مستقلّة، لها الحقّ في تسيير شؤونها وإدارة حكمها". فالتراث العربي واحد، ووجود العرب أيضاً هو واحد، وحدودهم واحدة وهوّيتهم واحدة. تلك هي القدرة الكامنة التي لا تزال تحتفظ بها اللغة العربية..

فاللغة العربيّة لم تغب عن الساحة، ولن تغيب، وقد قدّمت لأبنائها قوّتها لخلق حالات هم في حاجة إليها. وهذا ما كان القصد منه لتبيان صورة الوضع العربي الراهن: إذ كيف نبني مجتمعاً معافى من دون الخلاص من الجوانب السلبية؟. في الواقع إنّ كلّ ما قيل آنفاً يصبّ في إمكانيّة اللغة العربية الهائلة وقدرتها على مواصلة الحياة .